

المفاوضات عملية سياسية بين مصر وإثيوبيا

محمد أبو الفضل
كاتب مصري



عادل ومتوازن يحقق مصالح مصر وإثيوبيا والسودان، ترى أن هذه الدعوة قد جاءت متأخرة بعد 3 أسابيع منذ إطلاقها.. ما يحتم تحديد إطار زمني محكم لإجراء المفاوضات والانتهاؤها منها، منعا لأن تصبح أداة جديدة للمماطلة والتصلب من الالتزامات.

لم تفارق الهواجس المفاوضات المصري لحظة، مع ذلك قبل بالدخول في المحادثات، خاصة أن إثيوبيا حققت مطلبها بدخول دولة جنوب أفريقيا، كرئيس للاتحاد الأفريقي، ضمن فريق المراقبة، ومعها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وبالتالي لا توجد مبررات للحدث عن انحياز أميركي نحو القاهرة، فهذا التوازن بدأ للوهلة الأولى مرضيا لأديس أبابا.

بعد يومين، وجد المفاوضات الإثيوبية نفسه قد وقع في فخ سياسي، فعاد للحدث عن عدم جدوى وجود مراقبين، وقدم ورقة جديدة تحمى النتائج التي توصلت لها اجتماعات واشنطن، والتي شددت الخرطوم على أهميتها، لتعيد أديس أبابا الكرة إلى المربع الأول، وتجنبي ثمار عنصر الوقت الذي مكنتها من قطع شوط كبير في بناء السد دون اتفاقات مسبقة، وتحقق مكاسب نوعية من وراء تحول المفاوضات إلى عملية سياسية.

لم يستغرق الأمر أكثر من خمسة أيام حتى أعلنت القاهرة رفضها لهذا المنهج، وأصدرت وزارة الري والموارد المائية في مصر بياناً حاداً للجهة، السبت، قالت فيه "الموقف الإثيوبي يتأسس على إرغام مصر والسودان بالتوقيع على وثيقة تجعلهما أسرى لإرادة إثيوبيا، أو القبول باتخاذها إجراءات أحادية، الكبد في ملء سد النهضة دون اتفاق مع دولتي المصب".



في كل مرة تصعد فيها

المناوشات إلى حافة الهاوية

تجد من ينزلها على الأرض

بهدهء لأن الدول الثلاث مصر

وإثيوبيا والسودان، لا ترغب في

الوصول إلى نقطة الصدام أو

خط الاعداء

تصل الوساطة السودانية إلى طريق مسدود، إذا أخفقت في تقديم مسودة وثيقة توافقية سريعة وتحظى بالقبول من الجميع، ويحرم المفاوضات الإثيوبي من استهلاك المزيد من الوقت، وهي الصفة التي تترافق كل جولة من المحادثات، غير أنها انتقلت من السنوات خلال الفترة الأولى، إلى الأشهر، ثم الأسابيع والأيام، ما يبرز بان العملية السياسية فقدت جزءاً من برقيتها، واستنزفت جانبا من رصيدها الحقيقي لدى الدول الثلاث.

لكن دولة أسباب ومبررات جعلتها تقبل بصيغة مرنة، ربما تبعدها عن الدخول في خيارات صعبة، فمصر لم تتحدث رسمياً عن طريق للحل سوى المفاوضات، وكل التلميحات العسكرية جاءت في إطار الجاهزية العالية لمواجهة التحديات الوجودية التي تهدد الأمن القومي، ضمن سيناريو لا تتمناه الدولة المصرية، لأن تكلفته قد تكون باهظة.

ولذلك بانتظار حبل إنقاذ من أي جهة إقليمية أو دولية لنزع فتيل الأزمة قبل دخولها مرحلة جديدة، فالاعتراف بفشل المفاوضات كعملية سياسية غير منتجة معناه البحث عن خيار بديل. يبدو الأمر مشابهاً بالنسبة إلى كل من إثيوبيا والسودان، فهما يعلمان أن الحرب سوف ترغم كليهما على دفع أثمان عالية، لذا سيتم البحث عن منقذ يجعل الجميع لا يغادرون الطاولة، لأن مغادرتها هذه المرة دون سقف زمني وتقني، وتوافق على النقاط الخلافية، قد تضاعف من صعوبة العودة إلى حلبة المحادثات.

أوشكت فكرة التوظيف السياسي للمفاوضات على الانتهاج مع اقتراب ملء خزان السد خلال الشهرين المقبلين، ولن يكون هناك مجال للمناورات وانتظار حدوث معجزة تحقق العدالة، فإما التقاهم والسلام، أو استمرار الاختلاف والاستعداد لسيناريوهات بديلة للمفاوضات.

ابتدعت الولايات المتحدة الكثير من الخصال السياسية السلبية في منطقة الشرق الأوسط، ومع أنها تخلت عن معظمها، إلا أن آثارها لا تزال باقية، فنجدتها متجسدة في بعض القضايا، ويولوج شبحها في الأفق من وقت لآخر، حيث يُنسب إليها الفضل في تحويل المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين إلى عملية سياسية منذ انطلاقها في مدريد قبل نحو ثلاثة عقود، وخوفاً من انهيارها وسد الطريق على التسوية والعودة إلى خيار الحرب.

كلما تعثرت المحادثات، أو دخلت نفقا مظلماً، اخترعت واشنطن طريقاً يعيدها إلى سيرتها الأولى، من مدريد، إلى أوسلو ووادي عربة، إلى غزة - أريحا أولاً، إلى كامب ديفيد، وإلى باقي السلسلة، التي يتذكرها من عاصروا تلك الفترة حتى وصلنا إلى صفقة القرن، أو التصفية النهائية للقضية بالصورة التي يريدها من دفعوا إلى الانخراط دوماً في عملية السلام، ولم تخل هذه السنوات من مقاومة فلسطينية، ومعارك إسرائيلية متقطعة، لكنها كانت أيضاً تعود إلى مربع المفاوضات، لأن الحرب المفتوحة تمت إحاطتها بالعلامات الحمراء.

تشير الطريقة التي تمر بها المفاوضات بين مصر وإثيوبيا، ومعها السودان، حول سد النهضة، إلى أنها أصبحت عملية سياسية في حد ذاتها، كل الأطراف الرئيسية والمراقبة والوساطة بدرجاتها تعلم أنها غير مجدية، ولن تقضي إلى نتيجة حاسمة بشأن تسوية النقاط الخلافية، مع ذلك تغضب عندما تتوقف أو تتعثر، وتطرب عندما تستأنف وتعود على مضى نحو تسع سنوات على المفاوضات الثلاثية. مرت بالكثير من المطبات والعقبات التي يمكن تخيلها وعدم تخيلها، لم تنته سلباً أو إيجاباً.

في كل مرة تتوقف تمدد لها يد الحياة من هنا أو هناك، وفي كل مرة تصعد فيها المناوشات إلى حافة الهاوية تجد من ينزلها على الأرض بهدهء، لأن الدول الثلاث، مصر وإثيوبيا والسودان، لا ترغب في الوصول إلى نقطة الصدام، أو خط الاعداء، والذي سيكون مكلفاً للجميع.

لن استغرق في تفاصيل الصعود والهبوط، والتقدم والتراجع، والشد والجنب، فقد باتت معلومة على كثرتها، ولم يفلح طرف رابع وخامس وسادس في تسهيل مهمة المفاوضات وتجاوز التحديات، فقد انخرطت الولايات المتحدة ومعها البنك الدولي لمدة أربعة أشهر، من نوفمبر وحتى فبراير الماضيين، وقبيل بهما الدول الثلاث، وقدمت وثيقة مبادئ أنهت نحو 90 في المئة من المشكلات، غير أنها انهارت مع رفض كل من إثيوبيا والسودان التوقيع عليها.

وقتها بدأت الخيارات القائمة تتردد، وقيل الكثير حول تعامل مصر بخشونة مع الأزمة وضرب سد النهضة عسكرياً، فلم يعد لديها الفائض اللازم من الوقت والصبر للاستمرار في المفاوضات، وقبل أن يذهب بعيداً أصحاب هذا السيناريو، أعلنت القاهرة تقديم مذكرة إلى مجلس الأمن، تبعتها ردود إثيوبيا والسودان، وأطافت المذكرات الثلاث شبح الحسم العسكري.

أعيد تسخين المفاوضات عبر دخول السودان كطرف أصيل، ووسيط فاعل، ويعد نحو شهرين من مبادرة إطلاقها رئيس الحكومة عبدالله حمدوك دعوت إلى محادثات جديدة أجرى اتصالات مع رئيس وزراء مصر، مصطفى مديولي، ورئيس وزراء إثيوبيا، أبي أحمد، ثم توقفت مساعي الخرطوم بسبب انتشار كورونا وغيره، وقبل أن يدب اليأس أعلن السودان استئناف المفاوضات، الثلاثاء الماضي، عبر فيديو كونفرنس بين وزراء الري في الدول الثلاث.

ما يؤكد أن المسألة تحولت إلى عادة أو عملية سياسية روتينية، أن مصر أصدرت بياناً حاداً في اليوم ذاته الذي استؤنفت فيه المفاوضات، عقب اجتماع لمجلس الأمن القومي في حضور الرئيس عبدالفتاح السيسي، أضح إلى أن الجولة غير مجدية، ونتيجتها محكوم عليها بالفشل.

قال البيان نصاً: "تؤكد مصر على موقفها المبدئي بالاستعداد الدائم للتفاوض من أجل التوصل إلى اتفاق



كلما ازدادت الوعود زاد فقر العراقيين وساء حالهم



د. باهرة الشخيلي
كاتبة عراقية

حين تسلّم مصطفى الكاظمي منصب رئاسة الحكومة في العراق، خلفاً لرئيس الحكومة السابق عادل عبدالمهدي، الذي اضطرت الاحتجاجات الشعبية وثورة الشباب التحررية إلى الاستقالة من منصبه، أطلق وعوداً لها سحرها لدى الشارع العراقي، منها تطبيق القانون ومحاسبة المجرمين، الذين قتلوا المتظاهرين، ومحاربة الفساد وإصلاح الوضع الاقتصادي، وغيرها من الوعود، إلا أن الشارع العراقي استقبل هذه الوعود بالحذر والتشكيك وعدم التصديق.

ولا نعلم إذا كان السياسيون في سلطة الفساد يعرفون أن ما يدلون به من تصريحات وما يرددون من أقوال، لا يصدقها العراقيون ولا يتفقون بها، لأنهم ما عادوا يتفقون بمن يطلق هذه التصريحات والأقوال، فقد اتخمو وعوداً وكاذباً، وأصبحوا يرددون ما قاله الشاعر أبو الطيب المتنبي "أنا الغني وأموالي المواعيد".

وإذ نتوقف، بل نعرف أن هؤلاء السياسيين المنكفئين على أنفسهم لا يستمعون إلا إلى المحيطين بهم، القريبين منهم، وهؤلاء أساتذة في الكذب، يزينون لهم أقوالهم وأفعالهم ويصورون لهم أن الشعب في لهفة دائمة إلى إطلاقاتهم وإلى كل ما يصدر عنهم، فيصدق السياسيون، الذين تشير إليهم، بدورهم، ما يقال لهم، ويترددون في الادعاء والكذب والثروة، كما يقول أحد كبار مثقفي العراق وشعرائه.

أما ما يطلعون عليه من نقد موضوعي، هذا إن اطلعوا عليه، فيعدون مصدره الحسد والغيرة، أو جهل من يقول به، بما يتوفرون عليه من عبقرية ولوعذبة.

الطبقة السياسية التي جاءت بعد احتلال العراق عام 2003، استهانت بعقل الجمهور وقدرته على كشف عيوبها، منذ أن ألقي بها الرئيس الأميركي بوش على ناصية الحكم في العراق، عن نفوس شريرة وجاهلية مطلقة وحماسة تامة وأن أفرادها غير أمداء بلا حصر ولا استثناء. لقد برهنوا أنهم كذابون بامتياز، ولصوص محترفون، فحول العراقيون كذبهم إلى الظاهر والاعتصام، فمجلس الحكم الانتقالي كان نبذة الفساد الأولى وكان أقرب إلى السيرك منه إلى النظام، إذ

كشف أعضاؤه عن قبائح لا حصر لها وثبت للناس جميعاً أن مهم الأود هو تكديس المال، والتفاخر الكاذب، وعقد الصفقات المشبوهة.

وعندما جاء إباد علاوي حملت لائحته جريمتين، هما الفلوجة والنجف، وتلاه الجعفري، الذي صار مضرب مثل عند العراقيين في الهذيان واللغة المرتبكة، التي لا يفهمها حتى هو، ولو جالسته لوليت منه الأديار، فهو يقول ما لا يعلم، وبدلاً من إيداعه عبادة الأمراض العصبية، كما كان مسجلاً في بلد لجوئه بريطانيا، صار هو (القوي الأمين) ودون مجلدات عن دوره في تأسيس العراق الجديد، لم يكتب مثلها نوري السعيد ولا محمد فاضل الجمالي ولا محمد الصدر، وهو لم يبن حتى حماماً عمومياً.

أما نوري المالكي، فكاذبه وأباطيله أكبر من أن تخفي، فقد فاق مسيلمة، كما وصفه العراقيون في قصائدهم وأهازيجهم وهوساتهم، حتى أنشأ الجمهور العراقي ترنيمة "كذاب نوري المالكي كذاب".

هؤلاء عينة ممن حولوا العراق إلى مزرلة وإلى مضحكة وإلى جيوش في المرتزقة، هم تعبير عن أكبر كذبة في تاريخ العراق، حفنة من العملاء، لا يعرفون للصدق طريقاً، مارسوا وما زالوا يمارسون الكذب والتزوير على نحو متواصل منذ 17 عاماً.

بعض من تصريحات هؤلاء المسؤولين أصبحت من الطرائف التي يريدها المواطنون في سهراتهم وجلساتهم الخاصة، ويمالون بها فضاءات وسائل الاتصال، فيخفقون بها من معاناتهم ويدفعون عن أنفسهم الضيق

والضجر. ومن نجوم هذه الجلسات والسهرات نوري المالكي، ومسلسل تخيلاته، مثل حلقة القلم



وعود المسؤولين في العراق

أصبحت طرائف يرددوها

المواطنون في سهراتهم

وجلساتهم الخاصة ويمالون

بها فضاءات وسائل الاتصال

فيخفقون بها من معاناتهم

ويدفعون عن أنفسهم الضيق

والضجر

الذي أهداه إليه والده، وحلقة بطولات ابنه حمودي، وحلقة تهديده الأميركيين، والنجم الآخر هو إبراهيم الجعفري ومقولاته التي تصحك الكلكي، وإباد علاوي الذي لا يدري، وعادل عبدالمهدي الذي يتحدث عن أمور تعرفها أي فلاح في المشخاب، مثلاً، ويظن أنه يأتي بما لا يعرفه العباقرة.

ولا يختلف الآخرون من أصنام العملية السياسية عن تم نكرهم، وإن كان ما ذكرناه ليس سوى أمثلة لها في أوساط سياسيي العقلة ما يشبهها أو يتجاوزها في السطحية والكذب والخيال.

لذا نجد العراقيين لا يتفقون بتصريحات المسؤولين ولا يصدقون منها شيئاً، بل يسخرون منها ويهزؤون بمن يطلقها.

للاستشاري النفسي والشاعر الدكتور ريكان إبراهيم نظرية تفسر أسباب نشوء حالة عدم التصديق بين المواطن والمسؤول، ويقول إنها تعود إلى عقود طوال من بناء الأسرة العراقية، حيث نجد سوء العلاقة القائمة بين الآباء وبين الأبناء وأبنائهم، إذ كان فقدان الثقة عنصراً قائماً في نسبة كبيرة من المجتمع العراقي، وعلاقة الزوجة مع الزوج تقوم في الغالب على الخوف والحطة والحذر، والطفل يراقب ما يدور في البيت بين أبويه، فيتعلم الشك وعدم الثقة.

ووفقاً لنظرية "الجشالت" العقل الجمعي ينشئ جيلاً فاقداً للثقة بمن حوله، ويتعلم الصغار من سلوك أقرانهم الكذب والتسويق.

يقودنا كلام الدكتور إبراهيم إلى أن العراقي، بسبب هذه النشأة، يظل حذراً من كل كلام يقال له أو وعد يطلقه أحد أمامه، ولن يصدق به حتى يقوم الواعد بتنفيذ ما وعد به.

سئل الإمام أحمد ابن حنبل "كيف تعرف الكذاب، فقال من مواعيده"

ويقول الكاتب والمفكر الساخر برناردشو "الأيام أفضل جهاز لكشف الكذب"، وقد أثبتت 17 سنة أن كل رئيس حكومة جاء بعد الاحتلال لم يخجل على العراقيين بالوعود فاطلق منها ما استطاع إليه سبيلاً، واعدوا إياهم بالخير والإصلاح وتحسين الأوضاع، ما لو تحقق بعض منها لكان العراقيون أسعد شعب في العالم، ولكن واقع الحال يقول، كلما ازدادت الوعود زاد فقر العراقيين وساء حالهم.

